الفصل السادس
دراسة بعض نصوص الشعر الجاهلى

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل السادس

دراسة بعض نصوص الشعر الجاهلي

1 ـ عنترة بن شداد ودراسة معلقته "هل غادر الشعراء من متردم":

هو عنترة بن شداد. وقيل عنترة بن عمرو بن شداد. وقيل عنترة بن شداد بن عمرو بن معاوية بن قراد.

وقال البغدادي: ابن قرادة بن مخزوم بن ربيعة.

وقيل مخزوم بن عوف ... بن عبس ... بن عيلان بن مضر.

وهو أحد شعراء العرب وفرسانهم وأبطالهم المشهورين، ومن أصحاب المعلقات. حضر حرب داحس والغبراء وحسن فيها بلاؤه. وعاش طويلاً، حتى كبر ومات سنة 615م تقريباً.

وقد عشق " عبلة " ابنة عمه وكان ذلك قبل أن يحرر ويعترف أبوه ببنوته، فأبى عمه أن يزوجه ابنته وهو عبد، فحفزه ذلك وهاج من شاعريته.

وعدّهُ صاحب الجمهرة ثانى أصحاب المجمهرات.

وذكره أبو عبيدة فى الطبعة الثالثة من الشعراء. وهو أحد أغربة الجاهلية.

وقال صاحب الأغاني: هم عنترة وأمه زبيبة، وخفاف وأمة ندبة، والسليك وأمه السلكة. وإليهن ينسبون. وأغربة العرب سودانهم.

وكان أبوه نفاه واستبعده على عادة العرب مع أبناء الإماء. فإنهم يستبعدونهم إلا إذا ظهرت عليهم الشجاعة والنجابة، وكان أخوته من

أمه عبيداً.

وكانت امرأة أبيه واسمها سمية حرضت عليه أباه، وادعت إنه راودها عن نفسها، فغضب أبوه وضربه ضرباً شديداً حتى كاد أن يقتله فوقعت عليه سمية المذكورة ومنعت شداد من قتله. فقال فائيته التى أولها :

أمن سمية دمع العين مزروف لو أن ذا منك قبل اليوم معروف[1]

اعتراف أبيه به :

وسبب اعتراف أبيه به، أن بعض أحياء العرب أغاروا على بنى عبس، فأصابوا منهم واستاقوا إبلاً لهم، فلحقوا بهم فقاتلوهم عما معهم، وعنترة يومئذ فيهم، فقال أبوه كر ياعنترة، فقال عنترة العبد لا يحسن الكر إنما يحسن الحلب والصر، فقال كر وأنت حر، فكر وهو يقول :

أنا الهجين عنترة كل امرئ يحمى حره

أسوده وأحمره والواردات مسفره

فادعاه أبوه بعد ذلك وألحق به نسبه، وقيل أن السبب فى استلحاقه إياه أن عبساً أغاروا على طئ، وأصابوه نعماً. فلما أرادوا القسمة، قالوا لعنترة لا نقسم لك نصيباً مثل أنصبتنا، لأنك عبد. فلما طال الخطب بينهم، كرت عليهم طئ فاعتزلهم عنترة، وقال دونكم القوم فإنكم عمدهم، واستنفذت طئ الإبل فقال له أبوه كر يا عنترة، فقال أويحسن العبد الكر، فقال له أبوه العبد غيرك، فاعترف به، فكر واستنفذ الإبل من

[1] أشعار الشعراء الستة الجاهليين للأعلم الشنتمرى، جـ2/145، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط الثانية، 1401هـ/1980م.

طئ وجعل يرتجز بالرجز المتقدم.

- **شجاعتـــه :**

روى أن عمرو بن معد يكرب، وكان معاصراً له، قال لو سرت بظغينة وحدى على مياه معد كلها، ما خفت أن أغلب عليها، ما لم يلقنى حراها أو عبداها، فأما الحران: فعامر بن الطفيل وعتيبة بن الحارث بن شهاب. وأما العبدان فأسود بنى عبس يعنى عنترة والسليك بن السلكة، وكلهم قد لقيت، فأما عامر بن الطفيل فسريع الطعن على الصوت، وأما عتيبة فأول الخيل إذا أغارت، وآخرها إذا آبت، وأما عنترة فقليل الكبوة، شديد الجلب، وأما السليك فبعيد، الغارة كالليث الضاري.

وقيل لعنترة أنت أشعر العرب وأشدها، قال: لا، قيل له فيم شاع لك هذا فى الناس؟ قال: كنت أقدم إذا رأيت الإقدام عزماً، وأحجم إذا رأيت الإحجام حزماً، ولا أدخل موضعاً إلا أرى لى منه مخرجاً، وكنت أعتمد الضعيف الجبان، فأضربه الضربة الهائلة، يطير لها قلب الشجاع فأثنى عليه فأقتله.

وقال عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ للحطيئة: كيف كنتم فى حربكم؟ قال: كنا ألف فارس حازم، وقال كيف يكون ذلك؟ قال: كان فينا قيس بن زهير وكان حازماً، فكنا لا نعصيه، وكان فارسنا عنترة، فكنا نحمل إذا حمل، ونحجم إذا أحجم، وكان فينا الربيع بن زياد، وكان ذا رأى، فكنا نستشيره ولا نخالفه، وكان فينا

عروة بن الورد، فكنا نأتم بشعره، فكنا كما وصفت لك، فقال عمر صدقت.

وروى أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: ما وصف لى إعرابى فأحببت أن أراه إلا عنترة.

- **وفاتـــه :**

اختلف فى سبب موته، فقيل إنه أغار على بنى نبهان من طئ فأطرد لهم طريدة، وهو شيخ كبير، فجعل يرتجز وهو يطردها ويقول :

آثار ظلمان بقاع مجدب

وكان وزر بن جابر النبهانى فى فتوته فرماه، وقال خذها وأنا ابن سلمى، فقطع معطاه، فتحامل بالرمية حتى أتى أهله، فقال وهو مجروح :

وإن ابن سلمى عنده فاعلموا دمي

وهيهات لا يرجى ابن سلمى ولا دمي

إذا ما تمشى بين أجبال طئ مكان الثريا ليس بالمتهضم

رمانى ولم يدهش بأزرق لهذم عشية حلوا بين نعف ومخرم

وقيل إنه فى غزوته إلى طئ هذه. كان مع قومه، فانهزموا عنه فخر عن فرسه ولم يقدر من الكبر أن يعود فيركب. فدخل دغلاً وأبصره ربيئة طئ، فنزل إليه وهاب أن يأخذه أسيراً فرماه فقتله.

وقيل إنه كان قد أسن وافتقر وعجز عن الغارات، وكان له دين على رجل من غطفان فخرج يتقاضاه، فهاجت عليه ريح شديدة فى يوم

صائف بين شرج وناظرة فقتلته[1].

سبب قوله المعلقة :

جلس عنترة يوماً فى مجلس بعدما كان قد أبلى واعترف به أبوه وأعتقه فسابَّه رجل من بنى عبس وذكر سواده وأخوته. فسبَّه عنترة وفخر عليه وقال فيما قال له: إنى لأحضر البأس، وأوفى المغنم، وأعف عند المسألة، وأجود بما ملكت يدي، وأفضل الخطبة الصماء.

قال له الرجل: أنا أشعر منك. قال: ستعلم ذلك. فقال عنترة يذكر قتل معاوية بن نزال. وهى أول كلمة قالها.(وهى المعروفة بالمعلقة).

1. هل غادر الشعراء من مُتَرَدَّم ... أم هل عرفت الدارَ بعد توهُّم
2. أعياك رسم الدار لم يتكلَّم ... حتى تكلم كالأصم الأعجم
3. ولقد حبستُ بها طويلاً ناقتي ... أشكو إلى سفعٍ رواكد جثَّم
4. يا دَارَ عبلة بالجِواءِ تكلمي ... وعمى صباحاً دار عبلة واسلمى
5. دار لآنسة غضيض طرفها ... طوع العناق لذيذة المتبسم
6. فوقفت فيها ناقتى وكأنها ... فدن لأقضى حاجة المتلوم
7. وتحل عبلة بالجواء وأهلنا ... بالحزن فالصمان فالمتثلم
8. حيُيِّت من طللٍ تقادم عهده ... أقوى وأقفر بعد أم الهيثم
9. حلت بأرض الزائرين فأصبحت ... عسراً على طِلابك ابنة مخرم
10. عُلِّقتْها عَرَضَاً وأقتلُ قومها ... زَعْمَاً لعمر أبيك ليس بمزعم
11. ولقد نزلت فلا تظُنى غيره ... منى بمنزلة المحب المكرمِ
12. كيف المزار وقد تربع أهلها ... بِعُنَيْزَتين وأهلنا بالغيلم
13. إن كنت أزمعت الفراق فإنما ... زُمت ركابكم بليل مظلم
14. ما راعنى إلا حمولةُ أهِلها ... وسط الديار تسف حبُّ الخِمخم
15. فيها اثنتان وأربعون حلوبة ... سوداً كخافية الغراب الأسحم

---

[1] راجع شرح المعلقات العشر للشنقيطى، ص44: 47.

16. إذ تستبيك بذى غروب واضح عَذْبٍ مُقَبَّلُهُ لذيذ المطعم
17. وكأنما نظرت بعينى شادِن رشأ من الغزلان ليس بتوأمِ
18. وكأن فأرة تاجر بقسيمة سبقت عوارضها إليك من الفم
19. أو روضة أنفاً تضمن نبتها غيث قليل الدَّمْن ليس بمعلم
20. جادت عليها كل عينٍ حرَّةٍ فتركنَ كل قرارة كالدرهم
21. سحا وتسكابا فكل عشيةٍ يجرى عليها الماءُ لم يتصرم
22. وخلا الذِّباب بها فليس ببارح غَرِداً كفعل الشارب المترنم
23. هزجاً يحكُّ ذراعهُ بذراعه قدح المكبِّ على الزناد الأجذم
24. تمسى وتصبح فوق ظهر حشية وأبيت فوق سراة أدهم ملجم
25. وَحَشيتى سَرج على عبل الشوى نَهْدٍ مراكله نبيل المحزم
26. هل تَبَلّغنى دارها شدنية لعنت بمحروم الشراب مصرم
27. خطارة غب السُّرى زيافة تطس الإكام بوخذ خف ميثم
28. فكأنما أقص الإكام عشية بقريب بين المنسمين مصلم
29. تأوى له قلص النعام كما أوت حزق يمانية لأعجم طمطم
30. يتبعن قلة رأسه وكأنه حَرَجُ على نَعْش لهُنَّ مُخيم
31. صعل يعود بذى العشيرة بيضه كالعبد ذى الفرو الطويل الأصلم
32. شربت بماء الدُّخرُضين فأصبحت زوراء تنفر عن حياض الديلم
33. وكأنما ينأى بجانب دفها الوحشـ ى من هزج العشى مؤوم
24. هرجنيب كلما عطفت له غضبى اتقاها باليدين وبالفم
35. أبقى لها طول السفَارِ مُقرْمداً سنداً ومثل دعائم المتخيم
36. بركت على ماء الرِّداع كأنما بركت على قصب أجش مهضم
37. وكأن رُبا أو كحيلاً معقداً حش الوقود به جوانب قُمقم
38. ينباع من ذفرى غضوب جسرة زيافة مثل الفنيق المكدم
39. إن تغدفى دونى القناع فإنني طب بأخذ الفارس المستلئم
40. أثنى على بما علمتِ فإنني سهل مخالقتى إذا لم أظلم
41. فإذا ظلمت فإن ظلمى باسل مر مذاقته كطعم العلقم
42. ولقد شربت من المدامة بعدما ركد الهواجر بالمشوف المعلم

43. بزجاجـــة صـــفراء ذات أسِـــرَّةٍ قرنـت بـأزهر فـى الشـمال مفـدم
44. فـــإذا شـــربتُ فـــإننى مســـتهلك مـــالى وعرضـــى وافـــر لـــم يكلـــم
45. وإذا صحوت فما أقَصِّر عن ندى وكمـا علمـت شـمائلى وتكرمـي
46. وحليـــل غانيـــة تركـــت مجـــدلا تمكـــو فريصـــته كشـــدق الأعـــلم
47. سـبقت يـداى لـه بعـاجل طعـنة ورشـــاش نافـــذة كلـــون العـــندم
48. هـــلا ســـألت الخيـــل يابنـــة مالـــك إن كنـــت جاهلـــة بمـــا لـــم تعـــلمي
49. إذ لا أزال علـــى رحالـــة ســـابح نهـــد تعـــاوره الكُمـــاةُ مُكلَّـــم
50. طـــوراً يُجـــردُ للطعـــان وتـــارة يـأوى إلـى حصـد القسـىَّ عـرمرم
51. ولقـــد ذكرتـــك والرمـــاح نواهـــل منـى وبيض الهند تقطر من دمي
52. فـــوددت تَقْبيـــلَ الســـيوف لأنهـــا لمعـــت كبـــارق ثغـــرك المُتبسِّـــم
53. ومـــدجج كـــره الكمـــاة نزالـــه لا ممعـــن هرَبـــا ولا مستســـلم
54. جـادت لـه كفـى بعـاجل طعـنه بمثقـف صـدق الكعـوب مقـوَّم
55. برحيبـة الفـرغين يهـدى جرسـها بالليـل معـتس الـذئاب الضـرم
56. فشـككت بـالرمح الأصـم ثيابـه لـيس الكـريم علـى القنـا بمحـرم
57. فتركتـــه جـــزر الســـباع ينشـــنه مـــا بـــين قلـــة رأســـه والمعـــصم
58. ومسـك سـابغةٍ هتكـت فروجهـا بالسيف عن حامى الحقيقة مُـلَمِ
59. ربـــذ يـــداه بالقـــداح إذا شـــتا هنَّـــاك غايـــات التجـــار مُلـــوَّم
60. لمـــا رآنـــى قـــد نزلـــت أريـــده أبـــدى نواجـــذه لغيـــر تبســـم
61. فطعـــنته بـــالرمح ثـــم عـــلوته بمهنـد صـافى الحديـدة مخـذم
62. عهـدى بـه مـد النهـار كأنمـا خضـب البنـان ورأسـه بالعـظلم
63. بطـل كـأن ثيابـه فـى سـرحة يُحْـذَى نعـال السبت لـيس بتـوأم
64. يـا شـاة مـا قنصٍ لمـن حَلّـت لـه حرمـت علـى وليتهـا لـم تحْـرُم
65. فبعثت جاريتى فقلتُ لها اذهبي فتجسســى أخبارهــا لــى واعلمــي
66. قالـت رأيـت مـن الأعـادى غِـرَّة والشـاة ممكنـة لمـن هـو مُرتمـي
67. وكأنمـــا التفتـــت بجيـــد جدايـــةٍ رشـــأ مـــن الغـــزلان حـــرَّ ارْثـــم
68. نبئـتُ عمـرْاً غيـر شـاكر نعْمتـي والكفـر مخْبئـةٌ لـنفس المنعـم
69. ولقد حفظت وصاة عمى بالضحى إذ تقلص الشفتان عن وضح الفم

70. فى حومة الموتِ التى لا تشتكي غمراتها الأبطال غير تغمغم
71. إذ يتقون بى الأسنة لم أخم عنها ولكنى تضايق مقدمي
72. ولقد هممت بغارة فى ليلة سوداء حالكة كلون الأدلم
73. لما سمعت نداءَ مرةَ قد علا وابنَىْ ربيعة فى الغُبار الأقتم
74. وُمحَلم يسعون تحت لوائهم والموت تحت لواء آل مُحَلمِ
75. أيقنت أن سيكون عند لقائهم ضرب يُطير عن الفراخ الجثَّم
76. لما رأيت القوم أقبل جمعهم يتذامرون كررت غير مذمم
77. يدعون عنتر والرماح كأنها أشطان بئر فى لبان الأدهم
78. مازلت أرميهم بثغرة نحره ولبانه حتى تسربل بالدَّم
79. فأزورَّ من وقع القنا بلبانه وشكا إلى بعَبْرة وتحمحم
80. لو كان يدرى ما المحاورة اشتكى ولكان لو علم الكلام مكلمي
81. ولقد شفى نفسى وأبرأ سقمها قيل الفوارس ويك عنتر أقدم
82. والخيل تقتحم الغبار عوابسا ما بين شيظمة وأجرد شيظم
83. ذُلَلَ رِكابى حيثُ شئت مُشايعي لُبِّى وأحفزه بأمر مبرم
84. إنى عدانى أن أزورك فاعلمي ما قد علمتِ وبعضُ ما لم تعلمي
85. حالت رماح ابنى بغيض دوُنكم وروت جوانى الحربِ من لم يُجْرِم
86. ولقد خشيتُ بأن أموت ولم تَدرْ للحرب دائرةُ على ابنى ضمضم
87. الشاتمى عرضى ولم أشتمهما والناذرين إذا لقيتهما دَمي
88. إن يفعلا فلقد تركت أباهما جزر السباع وكلَّ نسر قشعم[1]

الشرح والتحليل:

1. هل غادر الشعراء من مُتَرَدَّم أم هل عرفت الدارَ بعد توهَم؟
2. أعياك رسم الدار لم يتكلَّم حتى تكلم كالأصم الأعجم

اللغة: غادر: بمعنى ترك، متردم: من قولك: ردمت الشيء إذا أصلحته. والمتردم: اسم مفعول: من ردم ثوبه بمعنى أصلحه، ورقعه. أم: بمعنى بل

[1] شرح ديوان عنترة، ص117: 127، الدار العلمية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

للإضراب. التوهم: بمعنى الإنكار، ويحتمل أن يكون بمعنى الظن أو التفرس.

أعياك رسم الدار: أى خفى عليك.

المعنى: هل ترك الشعراء شيئاً من الشعر لم يصلحوه ويهذبوه، أو لم يسبقوا إليه حتى يتهيأ لمثلى أن يتأتى به. بل هل عرفت دار محبوبتك بعد تفرسك فى آثارها.

لقد أطلت توهمك للدار وسؤالك إياها، وهى لا تفصح إلا كما يفصح الأصم الأعجم. فهو يريد أن يقول: إنه وقف طويلاً يستنطق الدار عن أخبار أهلها حتى عيت ولم تجبه.

3. ولقد حبستُ بها طويلاً ناقتي أشكو إلى سفع رواكد جثَّم

4. يا دَارَ عبلة بالجِواءِ تكلمي وعمى صباحاً دار عبلة واسلمى

اللغة: سفع: جمع سفعاء. أى سوداء تضرب إلى الحمرة.

رواكد: جمع راكدة وهى المقيمة الساكنة. جثم: جمع جاثمة وهى اللاطئة بالأرض الثابتة فيها من قولهم جثم الطائر أى لصق بالأرض، ويريد بها الأثافى، أى أحجار الموقد.

الجواء: اسم موضع. أو هو جمع جو، وهو المطمئن من الأرض المتسع. عمى: انعمى. أى اسلمى. وعمّ مساءْ: هى تحية أهل الجاهلية. عبلة: ابنة عمه وحبيبته.

المعنى: لقد وقفت طويلاً أمام ما تبقى من تلك الديار، أشكو إليها ما صارت إليه ثم خاطب دار محبوبته بالجواء. وهى بلد يسميه أهل نجد

عدنه. مقدماً لها التحية "عمى صباحاً" وهى تحية أهل الجاهلية.

5. دار لآنسة غضيض طرفها طوع العناق لذيذة المتبسم

6. فوقفت فيها ناقتى وكأنها فدن لأقضى حاجة المتلوم

اللغة: آنسة: ظبية أو شابة يؤنس بحديثها. والظبية تؤنس شخصاً أى تبصره وإذا أبصرت شخصاً مدت عنقها. واشرأبت نحوه، فبانت محاسنها وهو يشبه بها المرأة لحسنها وجمالها.

غضيض طرفها: أى تغض بصرها. طوع العناق: أى طيعة عند العناق. لذيذة المبتسم: أى لذيذة طعم المبتسم وهو الفم، فهى لذيذة الريق.

وقفت: حبست، الفدن: القصر، جمعه أفدان. شبه به الناقة فى كمال خلقها. والمتلوم: المتمكث. يريد نفسه.

المعنى: هذه الديار لآنسة كالظبية فى جمالها، ولذلك يشبهها بالمرأة فهى طيعة العناق لذيذة طعم الفم. ثم يشبه تلك الناقة التى وقف بها على ديار المحبوبة بالقصر المشيد فى كمال خلقها.

7. وتحل علبة بالجواء وأهلنا بالحزن فالصمان فالمتثلم

8. حييت من طلل تقادم عهده أقوى وأقفر بعد أم الهيثم

اللغة: تحل عليه: تنزل أو تقيم من قولك حللت بالمكان أى نزلت فيه. الحزن: لبنى يربوع، والصمان: لبنى تميم. والمتثلم: مكان.

حييت من طلل: يقدم التحية لطلل محبوبته. أقوى وأقفر بمعنى خلا مما كان يسكنه. أم الهيثم: كنية عبلة.

المعنى: لقد نزلت عبلة بالجواء. وأهلنا نازلون بتلك الأماكن. فما أبعد مزارها. ثم قدم التحية لطلل محبوبته الذى خلا مما كان يسكنه.

9. حلت بأرض الزائرين فأصبحت عسراً على طلابك ابنة مخرم

10. علقتها عرضاً وأقتل قومها زعماً لعمر أبيك ليس بمزعم

اللغة: الزائرون: الأعداء. كأنهم يزأرون كما يزأر الأسد، شبه وعيدهم بالزئير. عسراً: منصوب على أنه خبر "أصبح" وطلابها: مرفوع به. ويجوز غير هذا. علقتها: أى أحببتها، عرضاً: فجأة من غير قصد له. الزعم: الطمع. والمزعم: المطمع. وزعماً: اسم من زعم يزعم زعماً. إذا طمع.

المعنى: علقتها وأنا أقتل قومها فكيف أحبها وأنا أقتلهم أم كيف أقتلهم وأنا أحبها، ثم رجع مخاطباً لنفسه فقال: زعماً لعمر أبيك ليس بمزعم. أى هذا فعل ليس بفعل مثلي.

11. ولقد نزلت فلا تظنى غيره منى بمنزلة المحِّب المكرِم

12. كيف المزار وقد تربع أهلها بعنيزتين وأهلنا بالغيلم

13. إن كنت أزمعت الفراق فإنما زُمت ركابكم بليل مظلم

اللغة: بمنزلة: فى موضع نصب أى لقد نزلت منزلة مثل منزلة المحب.

تربع القوم: نزلوا فى الربيع. وعنيزتان والغيلم: موضعان.

أزمعت: عزمت ونويت. الفراق: الرحيل، زمَّت ركابكم: أى شدت وخطمت بالأحزمة. والركاب: الإبل.

المعنى: لقد نزلت من قلبى منزلة من يحب ويكرم. فتيقنى هذا وأعلميه ولا تظنى غيره. فكيف يمكننى زيارتها وقد نزل أهلها فى الربيع بذلك المكان ونزل أهلنا بهذا الموضع وبينهما مسافة بعيدة ومشقة.

فإن كنت قد عزمت على الفراق والرحيل من هذا المكان فلقد زمت ركابكم وشدت الأحزمة عليها.

14. ما راعنى إلا حمولةُ أهلِها وسط الديار تسف حبُّ الخِمخم

15. فيها اثنتان وأربعون حلوبة سوداً كخافية الغراب الأسحم

اللغة: راعنى: أفزعني، الحمولة: قيل التى يحمل عليها. وسط: بإسكان السين: طرف. وإذا حركت السين لم يكن طرفاً. الخمخم: بكسر الخاءين نبت تعلفه الإبل. وهى بقلة لها حب أسود. إذا أكلته الغنم قلت ألبانها وتأكله الإبل إذا لم تجد ما تأكله غيره عندما يجف المرعى.

الحلوبة: الناقة التى تحلب. الأسحم: الأسود. والخوافى: من ريش الجناح أربع، وذكر الإبل السود خاصة لأنها أنفس المال عندهم وهذا كناية عن غناهم وكثرة ثروتهم.

المعنى: لقد أفزعنى وراعنى هذا الأمر وذلك عندما رأيت حمولة أهلها تأكل حب الخمخم، فذلك إيذان برحيلها عن المكان الذى تقيم فيه. وقد كانت تلك الحمولة تتكون من اثنتين وأربعين حلوبة من الإبل السود وذلك دليل على غناهم وكثرة ثروتهم.

16. إذ تستبيك بذى غروب واضح عذب مقبله لذيذ المطعم

17. وكأنما نظرت بعينى شادِن رشأ من الغزلان ليس بتوأمِ

اللغة: تستبيك: تذهب بعقلك، بذى غروب: جمع غرب وهو ماء الفم وحده الأسنان. الواضح: الأبيض. عذب: أى رائحته طيبة فقد عذب لذلك.

شادن: هو ولد الغزال الذى قد شدن أى قوى على المشى مع أمه.

رشا: حين قوى. ليس بتوأم: أى ولد مفرداً فالعناية به أتم وأكمل.

المعنى: إن هذه المحبوبة تذهب بعقلك لجمالها، وطيب رائحة فمها فمقبلها عذب لذيذ المطعم. وهى ليست بتوأم وإنما مفرد ومن ثم فالعناية بها أتم وأكمل.

18. وكأن فأرة تاجر بقسيمة سبقت عوارضها إليك من الفم

19. أو روضة أنفاً تضمن نبتها غيث قليل الدَّمْن ليس بمعلم

اللغة: الفارة: وعاء من جلد يوضع به الطيب. التاجر: العطار. القسيمة: امرأة حسناء. من القسامة وهى الحسن. العوارض: منابت الأضراس. يصف طيب رائحة فيها. روضة أنف: أى جديدة لم يرعها أحد. والأنف: التام من كل شيء. قليل الدمن: قليل اللبث والدمن: جمع دمنة. المعلم: المكان المشهور. فهى مباحة للناس والدواب.

المعنى: يستمر الشاعر فى وصف جمال محبوبته فيقول: إنها امرأة فائقة الحسن، طيبة رائحة الفم. وكأنها روضة جميلة فقد تم لها كل شيء يزيدها حسناً وجمالاً.

20. جادت عليها كل عين حرة فتركنَ كل قرارة كالدرهم

21. سحا وتسكابا فكل عشيةٍ يجرى عليها الماءُ لم يتصرم

22. وخلا الذُّباب بها فليس ببارح غَرِداً كفعل الشارب المترنم

23. هزجاً يحكُّ ذراعه بذراعه قدح المكب على الزناد الأجذم

اللغة: جادت: نزلت بالجود الكثير، عليها: على الروضة. عين: مطر. ثرة: كثيرة الماء. حديقة: خضرة. كالدرهم: فى استدارتها وصفاء

مائها. السح: الصب بشدة. التسكاب: الصب والسكب. وكل عيشة: خصها لأن مطر العشى أكثر ما يكون صيفا. لم ينصرم: لم ينقطع. ببارح: بتارك. غرماً: الطرب. الترنم: صوته خفى ترجعه بينك وبين نفسك. الهزج: السريع الصوت المدارك صوته. المكب: المقبل على الشيء. الأجذم: المقطوع الكف أو اليد.

المعنى: إن هذه الروضة الجميلة غذتها مياه كثيرة فزادت من خضرتها، فهى كالدرهم فى استدارتها وصفاء مائها الذى ينصب وينسكب عليها كل عيشة، فمطر العشى أكثر ما يكون صيفاً وكذلك لا يبرحها الذباب من شدة طربه فهو يغنى وحده هزجاً يحك ذراعه بذراعه وكأنه مقطوع الكف أو اليد.

24. تمسى وتصبح فوق ظهر حشية وأبيت فوق سراة أدهم ملجم

25. وَحَشيتى سَرج على عبل الشوى نَهْدٍ مراكله نبيل المحزم

اللغة: حشية: فراش وطئ. السراة: الظهر. أدهم: فرس أسود. حشيته: فراشه. عبل الشوى: فرس غليظ القوائم. النهد: الضخم المنتفخ الجنبين. المراكل: جمع مركل. وهو حيث تبلغ رجل الرجل الدابة. المحزم: موضع الحزام.

المعنى: يقارن الشاعر بين حاله وحال محبوبته. فمحبوبته تبيت على فراش وطئ وأما هو فيبيت على ظهر جواده ذلك الجواد القوى الضخم الغليظ القوائم النهد المراكل.

26. هل تَبلّغنى دارها شدنية لعنت بمحروم الشراب مصرم

27. خطـــارة غـــب السُّـــرى زيافـــة تطـس الإكـام بوخـذ خـف ميـثم

اللغة: شدنية: ناقة نسبت إلى شدن وهو فحل أو أرض باليمن. لُعنت: يدعو عليها بانقطاع لبنها فيكون أقوى لها وقيل لعنت: أى نحيت عن الإبل لما علم أنها معقوبة. فجعلت للركوب الذى لا يصلح له إلا مثلها. ومحروم الشراب: ممنوع شرابه. مصرّم: مقطوع.

خطارة: تشول بذنبها وتحركه يمنة ويسرة. وإنما تفعل ذلك لنشاطها. وغب السرى: عقب السير بالليل. موارة: تمور فى سيرها أى تسرع. تطس: الوطس: الضرب الشديد. الإكام: جمع أكمة والمراد بالنتوء فى الأرض تدقه الناقة أو الفرس لشدة وطئها. خف ميثم: شديد الوطء.

المعنى: ينتقل الشاعر إلى وصف ناقته فينسبها إلى شدن وهو فحل أو أرض باليمن. وهذه الناقة قد انقطع لبنها. ومن ثَمَّ جعلت للركوب فهى نشيطة قوية تشو بذنبها يمنة ويسرة لشدتها وقوتها وسرعة سيرها. فهى تدق النتوء فى الأرض لشدة وطئها.

28. فكأنمـــا أقـــص الإكـــام عـــشية بقريـــب بـــين المنســـمين مصـــلم

29. تـــأوى لـــه قلـــص النعـــام كمـــا أوت حـــزق يمانيـــة لأعجـــم طمطـــم

اللغة: أقص: أى أكسر. والمنسمان: ظفراه المقدمان فى خفه. المصلم: الذى خفيت أذناه فكأنهما مقطوعتان وكذا الظليم. تأوى: ترجع وتثوب. قلص: جمع قلوص. وهى من البغال الأنثى الشابة. الحزق: الجماعات من الإبل. الأعجم: أراد به هنا الحبشى وطمطم: لا يفهم كلامه.

المعنى: يقول الشاعر: إنه أقص ظفراه المقدمان فى خفه. وأنه قد خفيت أذناه فكأنهما مقطوعتان. وكذا الظليم. ثم ذكر لنا أن راعيها أعجم فهو يطمطم فلا يفهم كلامه.

30. يتبعن قلة رأسه وكأنه حَرَجُ على نَعْش لهُنَّ مُخيم

31. صعل يعود بذى العشيرة بيضه كالعبد ذى الفروالطويل الأصلم

32. شربت بماء الدحرضين فأصبحت زوراء تنفر عن حياض الديلم

اللغة: يتبعن: يعنى النعام تتبع الظليم. قلة رأسه: اعلاه. الحرج: عيدان الهودج. ومخيم: محمول الخيمة. صعل: طويل العنق صغير الرأس. يعود: يأتى إلى بيضه. ذى العشيرة: موضع. الصلم: المقطوع الأذنين. بماء: أى من ماء. الدحرضين: ماء أو بلد وقيل هما ماءان يقال لأحدهما. وسيع وللآخر الدحرض. فلما ثناهما غلب لفظ أحدهما على الأخر. وزوراء: مائلة من النشاط. الديلم: الأعداء.

المعنى: إن النعام تنظر إلى أعلى رأس الظليم وتتبعه ثم نجده يشبه الظليم براع أسود مجتاب فروة. لقد شربت بماء الحرضين فهى زوراء تنفر عن حياض الدَّيلم أى الأعداء.

33. وكأنما ينأى بجانب دفها الوحشـ ى من هزج العشى مؤوم

34. هرجنيب كلما عطفت له غضبى اتقاها باليدين وبالفم

اللغة: ينأى: يبعد، الدف: الجنب. الوحشي: الجانب الأيمن من البهائم. هزج العشى: يعنى هراً، والمؤوم: المشوه الخلق. وخص العشى لأنه ساعة الفتور. فأراد أنها أنشط ما تكون فى هذا الوقت الذى تفتر فيه الإبل فكأنها من نشاطها يخضمها هر. جنيب: أى مربوط فى جنبها.

المعنى: الشاعر يصف ناقته بأنها أنشط ما تكون فى هذا الوقت الذى تنفر فيه الإبل فكأنها من شدة نشاطها يخدشها هر مربوط فى جنبها.

35. أبقى لها طول السفَارِ مُقرْمداً سنداً ومثل دعائم المتخيم

36. بركت على ماء الردَّاع كأنما بركت على قصب أجش مهضم

اللغة : مقرمداً: سناما لزم بعضه بعضاً فكأنه بنى بالأجر. سندا: عالياً. دعائم المتخيم: مثل أعمدة الخيام.

الردّاع: اسم موضع فى مكان. الأجش: الذى فى صوته جشة وهو الصوت الغليظ. المهضم: المخرق أو المكسر.

المعنى: يريد أن يقول: إن لتلك الناقة سناماً لزم بعضه بعضاً. فكأنه بنى بالأجر. ثم يقول: أنها بركت فحنت. فشبه صوت حنينها بصوت هذا القصب.

37. وكأن رُبا أو كحيلاً معقداً حش الوقود به جوانب قُمقم

38. ينباع من ذفرى غضوب جسرة زيافة مثل الفنيق المكدم

اللغة: الرّب: الدبس وهو عسل المربى. والكحيل: القطران. والمقعد: الذى أوقد تحته حتى انعقد وغلظ. والوقود: بالفتح الحطب.

ينباع: يسيل وينبع وهو سيلان ببطء. الذفرى: العظم الناتئ خلف الأذن وأول ما يعرق البعير منه. الجسرة: الماضية فى سيرها. وقيل الضخمة القوية. الزيافة: المسرعة. والفنيق: الفحل من الإبل. المكْدّم: الذى لا يستعمل للركوب.

المعنى: يذكر الشاعر أن الرب وهو عسل المربى. والكحيل وهو القطران وقد أوقد تحته حتى انعقد. والقيان: الخدم. والقمقم هو القدر

الصغير لتسخين الماء. فهو يسيل وينبع كالعرق الذى يخرج من خلف الأذن فتلك الناقة جسرة موثقة الخلق. وتتبختر فى مشيتها وكأنها الفحل من الإبل القوى الذى لايستعمل للركوب.

39. إن تغدفى دونى القناع فإنني طب بأخذ الفارس المستلئم

40. أثنى على بما علمتِ فإنني سهل مخالقتى إذا لم أظلم

اللغة: الأغداق: إرخاء القناع على الوجه. والطب: الحاذق.

المستلئم: الذى لبس اللأمة وهى الدرع. أثنى: من الثناء والمديح. مخالقتي: بالقاف أى معاملتى صاحبى بمثل ما يظهر لي. من الأخلاق الحسنة والفاء من الخلاف. والمعنى: يريد أن يقول: إذا رآك الناس قد كرهتينى فأغدقت دونى القناع توهموا أنك استغللتنى وأنا مستحق لخلاف ما صنعت فأثنى على بما علمت.

المعنى: يريد أن يقول: إذا نبت عينك عنى فأغدقت دونى قناعك فإنى حاذق بقتل الفرسان وأسر الأقران. ثم يقول: إذا رآك الناس قد كرهتينى فأغدقت دونى القناع توهموا أنك استغللتينى وأنا مستحق لخلاف ما صنعت فأثنى علىَّ بما علمت.

41. فإذا ظلمت فإن ظلمى باسل مر مذاقته كطعم العلقم

42. ولقد شربت من المدامة بعدما ركد الهواجر بالمشوف المعلم

اللغة: باسل: كريه، العلقم: الحنظل.

الهواجر: جمع هاجرة. وهى نصف النهار عند زوال الشمس أو من زوالها إلى العصر. ومعنى ركود الهواجر سكونها أى سكون الناس فيها فى بيوتهم. والمشوف: الدينار أو الدرهم. وقيل: هو الكأس. وقيل:

المشوف: البعير المهنأ. أى إنه اشترى خمراً ببعيره. ومعلم: فيه علامة.

المعنى: يريد أن يقول إنه إذا ظلم فسوف يكون رده على هذا الظلم بظلم شديد المرارة كطعم الحنظل. وهو نبات معروف بمرارته الشديدة. ثم يقول: إن شربه للخمر يكون حين ركدت الشمس ووقفت وقام كل شىء على ظله. أى حين سكن الناس فى بيوتهم.

43. بزجاجة صفراء ذات أسِرَّةٍ قرنت بأزهر فى الشمال مفدم

44. فإذا شربتُ فإننى مستهلك مالى وعرضى وافر لم يكلم

45. وإذا صحوت فما أقصر عن ندى وكما علمت شمائلى وتكرمي

اللغة: الزجاجة الصفراء: يريد بها القدح. وصفراء آتية من صفرة الخمرة. ذات أسرة: أى ذات طرائق وخطوط. وأزهر يعنى إبريقاً من فضة أو رصاص. مقدم: مشدود فمه بخرقة وقيل عليه الفدام يصفى به.

العرض: موضع المدح أو الذم من الرجل. لم يكلم: لم يجرح. وافر: أى تام سليم لم يخرج بسب أو طعن فيه. صحوت: أفقت. والندى: السخاء وشمائل: جمع شمال وهى الخلق.

المعنى: لقد شربت المدامة بزجاجة صفراء مقرونة بإبريق أبيض ركب على فمه مصفاه كان فى جهة الشمال من الكأس أو فى شمال الساقى. وهذا الشراب سوف يستهلك ماله فقط. أما عرضه فإنه وافر فلم يخرج بسب أو طعن فيه. ثم يقول: وإذا صحوت عن سكرى لم أقصر عن جودى كما يفعل الأشقياء وأخلاقى كما علمتى أيتها الحبيبة.

ملحوظة:

لقد توقفت فى شرح معلقة عنترة بن شداد وتحليلها عند هذا البيت، حتى لا يطول بنا المقام، فهى من السبع الطوال وما قمت بشرحه يؤدى المطلوب كنموذج للشرح والتحليل، وكذلك أردت أن أترك للقارئ الكريم نموذجاً يهتدى به ويسير عليه فى شرح بقية المعلقة. وقد ختمت الحديث عن المعلقة بتأمل تام وتعليق عام على المعلقة ككل حتى تكون الفكرة واضحة ونستطيع أن نصل إلى الهدف المرجو.

تأملات فى القصيدة "التعليق العام":

بدأ عنترة معلقته بالسؤال عن المعنى الذى يمكن أن يأتى به ولم يسبقه به أحد الشعراء من قبل، ثم شرع فى الكلام، فقال إنه عرف الدار وتأكد منها بعد فترة من الشك والظن، فوقف فيها بناقته الضخمة. ليؤدى حقها - وقد رحلت عنها عبلة وصارت بعيدة عنه - فحيا الطلل الذى قدم العهد به وطال، فتغرب، وأصبحت الحبيبة فى مكان يصعب عليه طلبها فيه، فقد باعدت بينهما الديار، وهى بين الأعداء، وحقيقة تمكن حبها فى قلبه منذ أن وقعت عليها عينه عرضا وهو يحارب قومها. وأضحت تحتل فى قلبه مكانة المحبوب المعزز المصون وكان فراقها مفاجأة له، فقد قرروه فى الخفاء، وأفزعه أن رأى الإبل تحمل الأمتعة على وشك الرحيل، وكان ركابها من أجود الإبل وأغلاها:

هل غادر الشعراء من مُتَرَدَّم أم هل عرفت الدارَ بعد توهّم

يـا دَارَ عبلـة بـالجِواءِ تكلمـي وعمـى صباحاً دار عبلـة واسلمى
فوقفـت فيهـا نـاقتى وكأنهـا فـدن لأقضـى حاجـة المتلـوم
حيُيُّـت مـن طلـلٍ تقـادم عهـده أقـوى وأقفـر بعـد أم الهيـثم
حلـت بـأرض الزائـرين فأصـبحت عسـراً علـى طِلابُـك ابنـة مخـرم
عُلّقتْهـا عَرضَـاً وأقتـلُ قومهـا زَعْمَـاً لعـمر أبيـك لـيس بمزعـم
ولقـد نزلـت فـلا تظُنـى غيـره منـى بمنزلـة المحِّـب المكـرِم
إن كنـت أزمعـت الفـراق فإنمـا زُمـت ركـابكم بليـل مظلـم
مـا راعـنى إلا حمولـةُ أهلِهـا وسط الـديار تسف حبُّ الخِمخم
فيهـا اثنتـان وأربعـون حلوبـة سـوداً كخافيـة الغـراب الأسـحم

ثم سرد طرفاً من أسباب هيامه فقال: إنها ملكت شغاف قلبه بفم جميل، أبيض الأسنان، طيب الرائحة، يفوح العطر من عوارضه:

إذ تستبيك بذى غروب واضـح عذب مقبله لذيذ المطعـم
وكأن فأرة تاجـر بقسيمـة سبقت عوارضها إليك من الفـم

ثم قارن بين حاله وحالها، فهى تعيش منعمة وهو يعيش محارباً، وتمنى أن توصله إليها ناقة قوية لا تحمل ولا ترضع، وتضرب الأكام بأخفافها فتكسرها، وهى نشيطة سريعة لا ترد الماء كثيراً، وكلما جرت ازدادت نشاطاً وسرعة، كأنما ربط بجنبها هرّ كبير الرأس يخدشها، وسال عرقها أسود كثيفاً:

تمسى وتصبح فوق ظهر حشية وأبيت فـوق سراة أدهم ملجم
وَحَشيتى سَرج علـى عـبل الشوى نَهْـدٍ مراكلـه نبيـل المحـزم
هـل تَبلّغنّـى دارهـا شـدنية لعـنت بمحـروم الشـراب مـرم

خطـــارة غـــب السُـــرى زيافـــة تطس الإكام بوخذ خف ميثم
وكأنمـــا أقـــص الإكـــام عـــشية بقريـب بـين المنسـمين مصـلم
شربت بماء الدُخرُضين فأصبحت زوراء تنفر عن حياض الديلم
وكأنمـا ينـأى بجانـب دفهـا الوحشـ ى مـن هـزج العـشى مـؤوم
هـــر جنيـــب كلمـــا عطفـــت لـــه غضبى اتقاها باليدين وبالفم
وكـــأن رُبَّـــا أو كحـــيلاً معـــقداً حش الوقود بـه جوانـب قُمقم

ثم اتجه بالحديث إلى الحبيبة بسرد أخلاقه وسجاياه: قائلاً: إن ترخى قناع وجهك دوني، فإنى خبير ماهر بمعاملة الفرسان اللابسين الدروع، وأنا كريم الخلق لين الجانب إلا إذا ظلمت فعند ذلك يكون رَدَّى عنيفاً مراً، ثم قال لها: إنى استحق الثناء منك لأنى سخى جواد على السكر والصحو، وفى ميادين القتال بطل شهم فكم صرعت زوج شابة حسناء أعجلته بطعنة نافذة تطاير رشاشها، وتركته ينزف من الدم بغزارة وشدة. (وكأنما يشير هنا إلى سمة البطولة الحقيقية، فقد قتل عدوه، ولكن نفسه لم تحدثه أن يمس حليلة القتيل بسوء على عكس ما كان شائعاً فى عصره).

ثم استمر فى عرض بطولته، فحث حبيبته أن تسأل عنه إن كانت لاتعرف أخلاقه، وسلوكه، فهو فى الحروب يمتطى صهوة جواد ضخم مدرب على لقاء الكماة وطعن الرماح ورمى السهام، وحينما ينتهى من المعركة لا يلتفت إلى الغنائم، وكثيراً ما كان يتصدى للأبطال المدججين بالسلاح الذين لا يتزحزحون عن مواطئ أقدامهم فى ميادين القتال، فكان يعمد إلى الواحد منهم برمح قوى صلب، ويسدد

إليه طعنة عاجلة فتأتى نافذة يندفع منها الدم بغزارة فيحدث جرساً يهدى إليه السباع الجائعة ليأكلن منه، وما أكثر الدروع المحكمة التى مزقها بسيفه عن شجعان مشهورين، وكان الواحد منهم ضخم الجسم طويل القامة متين البنيان - إذ رآه مقبلاً عليه كشر عن أنيابه، فيطعنه بالرمح، ثم يقطعه بالسيف، ويتركه مضرجاً بدمه، ثم نادى حبيبته المحرمة عليه، وتمنى أن تكون حلالاً له، (وتحس من كلامه أنه يدعو لها ألا تكون لأحد إلا عن طريق حلال):

إن تغدفى دونى القناع فإننى ... طب بأخذ الفارس المستلئم
أثنى على بما علمتِ فإننى ... سهل مخالقتى إذا لم أظلم
فإذا ظلمت فإن ظلمى باسل ... مر مذاقته كطعم العلقم
هلا سألت الخيل يابنة مالك ... إن كنت جاهلة بما لم تعلمي
يخبرك منش هذه الوقيعة أننى ... أغشى الوغى وأعف عند المغنم
ومدجج كره الكماة نزاله ... لا ممعن هرَبا ولا مستسلم
جادت يداى له بعاجل طعنه ... بمثقف صدق الكعوب مقوَّم
برحيبة الفرغين يهدى جرسها ... بالليل معتس الذئاب الضرم
ومسك سابغةٍ هتكت فروجها ... بالسيف عن حامى الحقيقة مُعلَمِ
بطل كأن ثيابه فى سرحة ... يُحْذَى نعال السبت ليس بتوأم
عهدى به مد النهار كأنما ... خضب البنان ورأسه بالعظلم
يا شاة ما قنصٍ لمن حَلت له ... حرمت على وليتها لم تحْرُم

ثم استمر فى حديثه عن نفسه، فذكر سلوكه فى المعركة فقال: عند ساعة الخطر حينما يكشر الأبطال عن أنيابهم، ويشتد أوار

المعركة ولاتسمع للأبطال إلا غمغمة فى صدورهم بأصوات تسمعها ولا تفهمهما وحينما يتحاشون الأسنة عن أنفسهم بتعريضهم إياى لها، فأتقدم والتحم بصفوف الأعداء، وتتعالى النداءات وأصوات التحريض والإثارة ويخيم الموت تحت الألوية كنت أتقدم أكثر، وأصوات الاستحسان لى تؤججنى غيرة وحماسة فأتقدم وسط الرماح الطويلة التى تنهال من كل مكان وأدفع بحصانى أكثر وأكثر حتى صنع الدم له سربالاً، فالتفت إلى حصانى، مسترحماً، وأنحدرت من عينه دمعة على خده، وأخرج من صدره صوتاً مقطعاً ليس الصهيل، ولكن ما لقيته من التعب، وما حاق بى من السقم، لم يكن له أدنى أثر، فقد أذهبته عنى صيحات الأبطال لى بالاستحسان والإعجاب:

ولقد حفظت وصاة عمى بالضحى ... إذ تقلص الشفتان عن وضح الفم
فى حومة الموتِ التى لا تشتكي ... غمراتها الأبطال غير تغمغم
إذ يتقون بى الأسنة لم أخم ... عنها ولكنى تضايق مقدمي
لما رأيت القوم أقبل جمعهم ... يتذامرون كررت غير مذمم
يدعون عنتر والرماح كأنها ... أشطان بئر فى لبان الأدهم
مازلت أرميهم بثغرة نحره ... ولبانه حتى تسربل بالدَّم
فأزورَّ من وقع القنا بلبانه ... وشكا إلى بعَبْرة وتحمحم
لو كان يدرى ما المحاورة اشتكى ... ولكان لو علم الكلام مكلمي
ولقد شفى نفسى وأبرأ سقمها ... قيل الفوارس ويك عنتر أقدم

ثم ختم قصيدته بأنه يعرف كيف يسوس أمره، ويصرف شئونه، فلعله لا يعزب عنه، ورأيه محكم، وعزيمته صادقة ولا يخشى

الموت إلا قبل أن يقتص من غريمه :

ذُلَلَ رِكابى حيثُ شئت مشايعي لُبى وأحفزه بأمر مبرم
ولقد خشيتُ بأن أموت ولم تَدرْ للحرب دائرةُ على ابنى ضمضم
الشاتمى عرضى ولم أشتمهما والناذرين إذا لقيتهما دَمي
إن يفعلا فلقد تركت أباهما جزر السباع وكلَّ نسر قشعم[1]

تلك هى معلقة عنترة، وواضح أنها تصوير للفروسية الحقة التى من أبرز سماتها : البطولة فى كل المواقف وخصوصاً أوقات الشدة وميادين القتال، والشهامة مع الجميع وبخاصة المرأة وذلك بحمايتها والدفاع عنها، والمحافظة على شرفها وكرامتها حتى ولو كانت من الأعداء[1].

2ـ النابغة الذبيانى ودراسة قصيدته:
"عوجوا فحيوا لنعم دمنة الدار"

التعريف بالشاعر :

النابغة الذبيانى من شعراء الجاهلية الذين عُرفوا بأنهم أصحاب المعلقات.

كما أنه عرف بصلاته بملوك الغساسنة فى أطراف الشام وملوك المناذرة فى أطراف العراق، حيث كان يرتحل إلى الفريقين ليمدحهم ويفوز بصلاتهم.

وهو زياد بن معاوية بن ضباب بن مرة بن ذبيان وهى إحدى

---

(1) شرح ديوان عنترة، ص117: 127، الدار العلمية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
(2) راجع فى تاريخ الأدب الجاهلى للدكتور/ على الجندى، مكتبة النصر، ص312.

القبائل العربية الشهيرة، وقد جرت بين أبنائها فى الجاهلية وبين أبناء عمومتهم من عبس الحرب المعروفة بحرب داحس والغبراء التى يقال أنها ظلت مشتعلة تسيل فيها الدماء بين القبيلتين أربعين عاماً، وكان من أبطالها الذين سجلوا انتصارات واشتهروا فيها بقتل كثير من أبطال الخصوم الشاعر عنترة بن شداد العبسى مثل قوله:

ومدجج كره الكماة نزالـه

∴ لا ممعن هربا ولا مستسلم

جادت يدى له بعاجل طعنـه

∴ بمثقف صدق الكعوب مقـوم

فشككت بالرمح الأصم ثيابـه

∴ ليس الكريم على القنا بمحـرم

فتركته جزر السباع ينشنه

∴ ما بين قلة رأسـه والمعصم

ولم تضع هذه الحرب أوزارها إلا حين قام رجلان كريمان من مرَّة من ذبيان بتحمل ديات القتلى من الفريقين من مالهما الخاص فكانا بذلك مفتاحاً للخير وسبباً فى حقن الدماء وانتشار الأمن والسلام.

وكان عملهما النبيل هذا قوى التأثير على الشاعر الحكيم زهير بن أبى سلمى، فاعترف لهما بالفضل وخلدهما بمديحه.

وقد جاء من هذا المديح لهما فى معلقته الشهيرة :

يمينا لنعم السيدان وجدتما

∴ على كل حال من سحيل ومبرم

تداركتما عبسا وذبيان بعدها

∴ تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم

وقد قلتما أن ندرك السلم واسعا

∴ بمال ومعروف من القول نسلم

فأصبحتما منها على خير موطن

∴ بعيدين فيها من عقوق ومأثم

والنابغة شاعر متكسب كان يتكسب بشعره ويرتزق من مدائحه لملوك المناذرة فى الحيرة، ومن أبرزهم المنذر الثالث بن ماء السماء، ثم النعمان بن المنذر الذى قرب النابغة وخلطه بنفسه وأهله وجعله له نديماً كما كان يختلف فى بعض الأحيان إلى أمراء بنى غسان خصوم المناذرة ويبدو أنه لم يكن يجد بأساً فى ذلك، فالشاعر المداح يركب كل موجة ويأكل على كل مائدة.

" **يسقط الطير حيث ينتشر الحب وتغشى منازل الكرماء** "

وهكذا كان النابغة الذبيانى وكما اختلفت قبائل العرب خصوصاً البدو منها، بعضها مع بعض، اختلف ملوك الحيرة الذين يؤيدهم الفرس مع ملوك غسان الذين يؤيدهم قياصرة الروم نكاية بالفرس.

وقد انتصر الغساسنة على ملوك الحيرة وخاصة يوم حليمة وكان الغساسنة نصارى يدينون بالولاء للكنيسة البيزنطية، كما كان بعض المناذرة من النصارى - أيضاً - ولما كان من شأن ملوك الحيرة السيطرة على القبائل العربية المجاورة لهم وفرض طاعتهم عليهم، كما كان من شأن ملوك الغساسنة القيام بنفس الدور مع القبائل التى تقيم فى

جوارهم.

وكان بنو ذبيان شيعة النابغة إذا أجدبت الصحراء، وانتشر القحط أغاروا على أطراف الغساسنة يرعون كلأها، أو يسوقون ما يصادفونه من إبلها وماشيتها، فيقع القتال بين بنى ذبيان يساعدهم بنو أسد أنصار الحيرة والنصر لهؤلاء تارة ولأولئك تارة أخرى، فإذا انتهت المعركة كانت حصيلتها بعض الأسرى من ذبيان وأسد يسوقهم الغساسنة فيعمل النابغة لإنقاذهم ويمدح الغساسنة لإخلاء سبيلهم[1].

وأهم ما نطالعه فى تاريخ النابغة الذبيانى ذلك الأمر الذى نغص عليه معيشته وجلب عليه النكد والخوف بالليل والنهار، وهو سوء العلاقة بينه وبين النعمان بن المنذر الذى أهدر دمه ونصب الجوائز السخية لمن يأتيه برأسه.

فظل ينتقل بين الصحراء العربية طريداً مشرداً لا تبرحه الهموم ولا يفارقه الهم حتى وهو مستجير بالغساسنة لائذا بحماهم، لأنه كان يشعر بسطوة النعمان من جهة، كما كان صادقاً فى حبه يعز عليه أن يخسره من جهة أخرى.

وقد تعددت أقوال المؤرخين فى ذلك والتعليل له. فمنهم من يقول أن النعمان كان يعد نفسه ولياً لنعمة النابغة فلا يصح من وجهة نظره أن يمدح معه أكبر خصومه، وكان للفتن والدسائس مقالة السوء أكبر أثر فى تصعيد هذا الموقف، وامتلأ نفس النعمان به، ومنهم من يقول أن

---

(1) شرح المعلقات السبع، ص286، ط: دار مكتبة الحياة بلبنان.

النابغة جرأه تقريب النعمان إياه ورفع الكلفة بينه وبينه لدرجة أنه سمح لنفسه بأن يتغزل فى المتجردة زوجة النعمان فى قصيدته التى يقول فيها :

سقط النصيف ولم ترد إسقاطه

∴ فتناولته واتّقتنا باليد

ومما زاد غضب النعمان أن النابغة لم يكن بعيد النظر خلال مديحه لعمرو بن الحارث الغسانى لأنه أشار فى هذا المديح إلى انتصار الغساسنة على المناذرة فى يوم حليمة الذى شاع ذكره فى قبائل العرب، وقالوا: "ما يوم حليمة بسر"، وهذا أمر من شأنه أن يشعل غضب النعمان على النابغة، ويؤكد خيانته له..

وقد أكثر النابغة من قصائد الاعتذار التى يبغى بها استرضاء النعمان واستجلاب عفوه عنه، ولعل النعمان فى قرارة نفسه كان يشعر بالميل إلى النابغة بدليل أنه عفا وصفح عنه، وحقن دمه ورده إلى ما كان عليه من قبل ومما قاله النابغة فى اعتذاره للنعمان والمبالغة فى استرضائه:

أتانى أبيت اللعن أنك لمتنـي

وتلك التى أهتَمُّ منها وأَنصَب

فبت كأن العائذات فرشننى

هراسا به يعلى فراشى ويقشب

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة

وليس وراء الله للمرء مذهب

لئن كنت قد بلغت عنى جانيـة

لمبلغك الواشى أغش وأكذب

فلا تتركنى بالوعيد بأنـك

إلى الناس مطلى به القار أجرب

ألم تر أن اللـه أعطـاك سورة

ترى كل ملك دونهـا يتذبذب

بإنك شمس والملوك كواكب

إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

ويقـال[1] إن النابغـة أرسـل هـذه القصـيدة بالاتفـاق مـع صـديقين للنعمان لإحدى قيان النعمـان لتتغنـى بهـا فـى مجلسـه، فلمـا سمـع الأبيـات أقسم أن هذا الشعر للنابغة، وسأل ندماءه عنه ولم يكن بعيداً فأخبر به فأمنه وأدنى مجلسه وظل عنده حتى غضب كسرى على النعمان فقتله تحت أرجل الفيلة فغادر النابغة الحيرة، والتحق بقومه ذبيان وعاش معهم حتى مات سنة 604م قبل الإسلام بعدة سنوات.

والنابغة كان حكيم الشعراء فى سوق عكاظ، حيث كانت تنصب له قبة من أدم " جلد " أحمر وقصة مفاضلته بين الخنساء وحسان بن ثابت فى الجاهلية معروفة، حيث روى قوله للخنساء وقد أعجب بشعرها لولا أنك امرأة لفضلتك على أهل الموسم.

والشاعر النابغة أول من فتح على الشعراء الجاهليين باب التكسب بالشعر، ولكن لم يؤثر عنه مديحه لغير الملوك، وقد أجاد فى

---

(1) شرح المعلقات السبع، ص287.

مدائحه واعتذاراته ومرد هذه الجودة إخلاصه وصدقه الفنى فى الناحيتين.

وقد امتاز شعره بصفاء الديباجة وجمال التعبير وكان بارعاً فى الغزل والوصف والمديح والاعتذار وإن كانت له بعض التراكيب الغريبة والجمل المستعصية.

وللنابغة ديوان مشهور كان أول من جمعه أبو سعيد عبد الملك بن قريب المعروف بالأصمعي: حيث اختار له أربعة وعشرين قصيدة زاد عليها الطوسى فى منتصف القرن التاسع بضع قصائد[1].

وأبو زيد القرشى يعد قصيدة النابغة التى بين أيدينا أبيات منها اخترناها للدراسة، المعلقة الثالثة وإن كان العلامة التبريزى يرى أن معلقة النابغة ليست هذه القصيدة وإنما يرى أن معلقته :

يا دار مية بالعلياء فالسند

أقوت وطال عليها سالف الأمد

ويرى أصحاب دار مكتبة الحياة البيروتية والذين حققوا القصائد السبع للزوزنى رأى التبريزى فى أن المعلقة هى القصيدة التالية :

يا دار مية... الخ، وليس الرائية: قوموا فحيوا... الخ حيث أنها تعد من أجمل قصائد النابغة وأروعها.

يقول النابغة الذبيانى :

1. عُوجُوا فَحيُّوا لِنُعْمٍ دِمْنَةَ الدَّارِ	مَاذَا تُحَيُّونَ مِنْ نُؤْىٍ وأَحْجَارِ؟
2. أقْوى وأقْفَرَ من نُعمٍ وغيّرهُ	هُوجُ الرّياح بهابى التُّربِ مَوّارِ

(1) شرح المعلقات السبع، ص291.

3. وقفتُ فيها سراةَ اليومِ أسألُها عن آلِ نُعْمٍ أمُوناً عُبْرَ أسفارِ
4. فاستعجمتْ دارُ نُعْمٍ ما تكلمنا والدارُ لو كلمتنا ذاتُ أخبارِ
5. فما وجَدْتُ بها شيئاً أعُوجُ به إلاّ النُّمامَ وإلاّ مَوْقِدَ النّارِ
6. وقد أرانى ونُعْمِاً لاهِيَيْنِ معاً فى الدّهرُ والعيشُ لم يَهْمُمْ بإمرَارِ
7. أيّامَ تعجُبِنى نُعْمٍ وأُخبِرُها ما أكتُمُ النّاسَ من حاجى وأسرارِي
8. لولا حبائلٌ من نُعمٍ عَلِقتُ بها لأقْصَرَ القلبُ عنها أى إقْصارِ

---

9. رأيتُ نُعْمِاً وأصحابى على عجلٍ والعِيسُ للبَينِ قد شُدّتْ بأكوارِ
10. بيضاءُ كالشّمْسِ وَافتْ يَومَ أسعِدِها لم تُؤذِ أهلاً ولم تُفحِشْ على جارِ
11. يُلاَثُ بَعْدَ افتضالِ الدرع مِنْطَقُها لوثاً على مثلِ دِعْصِ الرَّملَةِ الهارِي
12. والطِّيبُ يزدادُ طيباً أن يكونَ بها فى جِيدِ واضِحةِ الخَدّينِ مِعطارِ
13. تسقى الضجيعَ إذا استسقى بذى أشرٍ عذبِ المذاقةِ بعدَ النومِ مخمارِ

---

14. إذا تَغَنّى الحَمامُ الوُرقُ ذكرنى ولو تَعَزَّيْتُ عَنها أُمَّ عَمّارِ
15. ومهمهٍ نازحِ تعوى الذئابُ بهِ نائى المَرِيادِ من الوُرّادِ مِقفارِ
16. جاوزتُهُ بعلنداةٍ مناقلةٍ وَعْيَتْ الطّريقِ على الحُزانِ مِضْرارِ
17. نَجْتَازُ أرضاً إلى أرضٍ بذى رجلٍ ماضٍ على الهولِ هادٍ غيرِ مِحيارِ

---

18. كأنّما الرّحلُ منها فوقَ ذى جُدَدٍ ذبَّ الريادِ إلى الأشباحِ نظارِ
19. مُطَرَّدٌ أفردتْ عنْهُ حَلائِلُهُ من وحشِ خُبَّةَ أو من وحش تعْشَارِ
20. مُجَرَّسٌ وحد جَونٌ أطاعَ له نباتُ غيثٍ من الوسْمِ مُبكارِ
21. باتَتْ له ليلَةٌ شَهباءُ تَسفعُهُ منها بحاصبِ شفانٍ وأمطارِ
23. حتى إذا ما انجلَتْ ظلماءُ لَيلَتِهِ واسفرَ الصبحُ عنهُ أى إسفارِ
24. أهوى له قانصٌ يسعى بأكلبهِ عارى الأشاجع من قُنّاصِ أنمارِ
25. مُحالفُ الصيدِ تَبّاعُ له لحمٌ ما إن عليهِ ثيابٌ غيرُ أطمارِ
26. فشكّ بالرمح منها صدرَ أولها شَكّ المُشاعِبِ أعشاراً بأعشارِ
27. ثمّ انثنى بعدُ للثانى فأقصدهُ بذاتِ فَرْعٍ بعيدِ القعرِ نعّارِ

28. وأثبَتَ الثّالثَ الباقى بنافِذَةٍ	من باسِلٍ عالمٍ بالطّعنِ كرّارِ
29. وظلّ فى سبعةٍ منها لحِقنَ به	يكُرّ بالرّوقِ فيها كَرّ إسوارِ
30. حتى إذا ما قَضَى منها لُبانَتَهُ	وعاثَ فيها بإقبالٍ وإدبارِ
31. انقضّ كالكوكبِ الدرى منصلتاً	يهوى ويخلطُ تقريباً بإحضارِ
32. فذلكَ شبْهُ قَلوُصى إذْ أضَرّ بها	طولُ السرى والسُّرى بَعْد إبكارِ[1]

الشرح والتحليل :

1. عُوجُوا فَحيُّوا لِنُعْمٍ دِمنَةَ الدَّارِ	ماذَا تُحَيّونَ مِنْ نُؤْى وأَحْجَارِ؟
2. أقوى وأقفَرَ من نُعمٍ وغيّرهُ	هُوجُ الرّياحِ بهابى التُّربِ مَوّارِ

اللغة :

عوجوا : من عاج بالمكان عوجاً رجع إليه ونزل به، الدمنة: ما بقى من آثار الديار، والنؤى: الخندق، أو الحفرة التى تكون حول الخيمة لتمنع تسرب المياه إليها، أقوى خلا: هوج الرياح جمع هوجاء، وهى الريح الشديدة، الهابي: الذى يسقي، الموار: الذى يذهب ويجئ، قال تعالى: "يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاء مَوْراً "[2].

المعنى :

على عادة الشعراء الأقدمين وسيرا على النهج الذى سنه امرؤ القيس أول من وقف واستوقف وبكى واستبكى، تخيل النابغة رفقة سفر يصطحبهم فى إحدى رحلاته التى يمر خلالها بديار نعم حبيبته التى باعدت بينه وبينها الأيام، وما أن يقع بصره على شخص ما من آثار ديارها حتى تثور مشاعره

---

(1) تراجع هذه القصيدة فى ديوان النابغة، ص202، 204، وفى جمهرة أشعار العرب فى الجاهلية والإسلام لأبى زيد القرشي، تحقيق:على محمد البجاوى، ص183 وما بعدها.

(2) سورة الطور، آية (9).

وتهيج ذكرياته. فلا يجد متنفساً لما هو فيه من هم وضيق سوى أن يطلب من أصحابه أن يقفوا بهذه الدمن ليوفوها حقها من التسليم وإلقاء التحية عليها، ولكن الحلم العاطفى الذى ألم بخياله وسيطر على مشاعره، وأخذ بأقطار نفسه ما لبث أن انقشع فتبدت له الحقيقة عارية مجردة فى صورة هذه الآثار البالية التى عفى عليها الزمن ولم يبق منها إلا خطوطاً باهتة فثاب إلى رشده حزينا باكيا يقول مستدركا: ولكن ماذا تحيون؟ وعلام تسلمون؟ أعلى حفرة كادت تندثر؟ أم على أحجار متناثرة هنا وهناك... وكأنه بهذا يعيد علينا صوت امرئ القيس على أطلال سلمى بذى الخال.

ألا عم صباحاً أيها الطل البالي

وهل يعمن من كان فى العصر الخالي

ثم يقول: وأسفاه لقد خلت آثار ديار محبوبتى منها، وتغيرت معالمها تماماً بفعل عوامل التعرية والتغيير من الرياح الهوجاء وما تذروه عليها من أتربة فأين هى الآن من أيام أنسها وبهجتها؟.

3. وقفتُ فيها سراةَ اليومِ أسألُها	عن آلِ نُعْمٍ أمُوناً عُبْرَ أسفارِ
4. فاستعجمتْ دارُ نُعْمٍ ما تكلمنا	والدارُ لو كلمتنا ذاتُ أخبارِ
5. فما وجَدْتُ بها شيئاً أَعُوجُ به	إلاّ الثُّمامَ وإلاّ مَوْقِدَ النّارِ

اللغة:

الأمون: الناقة القوية المريحة، وهى مفعول به لوقفت وسراة اليوم وسط النهار، وعبر أسفار بضم العين وسكون الفاء أى قرينة أسفار وأليفة رحلات، استعجمت، خرست ولم تنطق، أَعُوجُ به أقف عنده وأتذكر به، والثمام نوع من العشب الخفيف يبيض إذا يبس

ويستخدمونه فى سد الفرج بين أجزاء الخيمة وموقد النار: الكانون ونحوه.

المعنـــى :

لقد وقفت ناقتى القوية الهادئة على تلك الآثار ورحت أسألها عن أهلها الذين سعدت بصحبتهم وكانت لى معهم ذكريات جميلة لا تنسى.

ومن ذا الذى ينسى نعماً أو تزايله ذكرياتها الطيبة وكنت آمل أن تتحدث إلى الآثار بشيء يريح قلبى ولكنها خرست ولم تنطق وكم من الأخبار الشيقة تحتويها وتتحدث بها لو قدرت فما أشد أسفى وحزنى لقد ضاع كل شيء وتبخر ولم يبق أمام عينى إلا بقايا من نبات الثمام ملقى هنا وهناك ومواقد النيران التى عفت هى الأخرى وذهبت معالمها.

6. وقد أرانى ونُعْماً لاهِيَيْنِ معاً	فى الدّهرُ والعيشُ لم يَهْمُمْ بإمرَارِ
7. أيّامَ تعجُبِنى نُعْمٍ وأُخبِرُها	ما أكتُمُ النّاسَ من حاجى وأسراري
8. لولا حبائلٌ من نُعْمٍ عَلِقتُ بها	لأقْصَرَ القلبُ عَنها أى إقْصار

اللغـــة :

لاهيين: قاضيان حياتنا فى لهو ولعب شأن العاشقين الفارغين، والدهر والعيش لم يهمهم بإمْرَارِ أى لم يأذن يتصرم، وكان السياق يقتضى أن يقول والدهر والعيش لم يهما، ولكن مثل هذا التركيب الذى يرجع فيه الضمير بالأفراد وليس بالتثنية ورد كثيراً فى كلام العرب، ومنه قوله تعالى: "كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا"[1].

[1] سورة الكهف، آية (33).

حاجي: أى حاجتي، والأسرار: جمع سر وهو ما يكتمه الإنسان فى نفسه والحبائل: جمع حبالة، وهى المصيدة والشرك من الحبال، والمراد بها هنا روابط المودة، أقصر عن الشيء: كف عنه وانصرف، أى إقصار: إقصاراً شديداً.

المعنـــى :

بعد إظهار ألمه على ما صارت إليه آثار نعم من تغير وتبدل عاد بأفكاره إلى الماضى يسترجع ما كان له فيه من ذكريات مع نعم عندما كانا أليفين متجاورين ينعمان بالهناء ويرفلان فى ثياب عزه ويمضيان أيام الشباب فى لهو ولعب كيفما تقضى دواعى العشق والغرام والزمان بكر صبى لم ينذر بالفراق، وكان اللعب بينهما يرفع كل تكليف فيجعل الحبيبين يتناجيان ويفضى كل منهما برغباته وأسراره إلى صاحبه.

ولكن أين هو الآن وحدته ووحشته وضيقه مما كان ينعم به من أنس الحبيب واقتطاف أزاهير الغرام معه؟ لقد ذهب كل شيء وتبخر حيث تغير الزمان وتبدلت الأحوال وبدأت عوامل اليأس تدب إلى قلبه وتدفعه إلى نسيان هذا الحب، ونفض يديه منه لولا ما يربطه بنعم من روابط قوية متينة تدفعه إلى التذكر دفعاً وتجبره عليه جبراً.

9. رأيتُ نُعْماً وأصحابى على عجلٍ	والعِيسُ للبَينِ قد شُدّتْ بأكوارِ
10. بيضاءُ كالشّمْسِ وَافتْ يَوْمَ أسعدِها	لم تُؤْذِ أهلاً ولم تُفحِشْ على جارِ

اللغـــة :

العيس: الإبل البيضاء، البين: البعد، الأكوار: جمع كور وهو الرحل، وافت: المراد ظهرت، يوم أسعدها: طلوعها فى برج الصعود فهى ساطعة شديدة التألق، لم تفحش على الجار: لم تسئ إليه بكلمة بذيئة.

المعنـــى :

يتحدث عن آخر عهده بنعم، وقد عزم على الرحيل، وكان رفقاء السفر فى عجلة من أمرهم لم يتيحوا له فرصة الوداع الطويل، وكانت الإبل قد أعدت لسفر طويل وقد شدت عليها رحالها.

وما أجمل منظر حبيبته فى هذا اليوم، لقد كانت بيضاء جميلة متألقة كأنها قرص الشمس اللامع فى يوم سعودها فلا غيم يحجبها ولا غبار يظلل ضوءها، وذلك ما يشعل نيران حبه لنعم ويبقى ذكراها فى قلبه قوية أبداً، وحق لها أن تكون كذلك فهى جميلة الظاهر والباطن، قد جمعت إلى الجمال الحسى الجمال المعنوى من سماحة نفس وكريم خلق يحمده لها الأهل والجيران الذين لم تؤذهم أو تسئ إليهم بقول أو بفعل.

11. يلاثُ بَعْدَ افتضالِ الدرع مِنْطَقُها	**لوثاً على مثلِ دِعْصِ الرَّملَةِ الهارِي**

اللغـــة :

الدرع: كساء مخطط تلتحف به فى الجزء الأعلى من الجسم ويعنى الافتضال لبس ثوب واحد، يلوث: تلف، منطقها: ما يؤتزر به وهو ثوب يحيط بالنصف الأسفل من الجسم، والدعمس كوم الرمل

الأبيض، الهاري: المتهايل غير المتماسك.

المعنـــى :

أنه يقول أن هذه الحبيبة رائعة الجمال بالمقياس الجاهلى من البياض وامتلاء الجسم، فهى تلتحف ببردها ثم تلف مئزرها على أسفل جسمها على أرداف ممتلئة مرجرجة كأنها كومة رمل غير متماسك.

12. والطِّيبُ يزدادُ طيباً أن يكونَ بها ... فـــى جِيـــدِ واضِـــحةِ الخَـــدّينِ مِعطـــارِ

اللغـــة :

الطيب: العطر ونحوه، والجيد: موضع القلادة من العنق واضحة الخدين: جميلة الخدين سهلتهما أى ليس بهما تجاعيد أو بثور ونحوه، معطار: كثيرة التطيب لا تقصر فى ذلك قط.

ونظراً لأن هذه المرأة الجميلة تحرص على زينتها ونظافة جسمها فإن العطر يزداد طيباً وجمالاً عندما يفوح من جسمها وينبعث من جيد تلك الحسناء التى تتميز بخدين جميلين نقيتين، وتمتاز بين النساء بتعهد نفسها بالطيب، ولا تقصر فى استعماله.

13. تسقى الضجيعَ إذا استسقى بذى أشرٍ ... عـــذبِ المذاقـــةِ بعـــدَ النـــومِ مخمـــارِ

المعنـــى :

الضجيع من المضاجع من زوج وغيره، استسقى: طلب السقيا بريقها، ذو الأشر الفم: والأشر بضم الهمزة والشين: تحزيز فى أطراف الأسنان، عذب المذاقة: بعد النوم: أى أنه عذب الطعم فى الوقت الذى تتغير فيه الأفواه. مخمار: محبب إلى المقبل كأنه طعم الخمر وله رائحته أيضاً.

14. إذا تَغَنّى الحَمـامُ الوُرقُ ذكرنى	ولـــو تَعَزَّيْـــتُ عنَهـــا أُمِّ عَمّـــارِ

اللغـــة :

الورق من الحمام جمع ورقاء: وهى ما كانت رمادية اللون أم عمار: كنية لنعم.

المعنـــى :

يقول عندما أكون بعيداً عن هذه المحبوبة غريباً عن ديارها وسمعت الحمائم الورق تتغنى فإن غناءها يهيج أشجانى وكوامن أشواقى فأنا لا أنساها أبداً.

15. ومهمهٍ نازحٍ تعوى الذئابُ بهِ	نـــائى الْمَـيـــاهِ مـــنِ الـــوُرّادِ مِقفـــارِ
16. جاوزتـهُ بعلنـــداةٍ مناقلةٍ	وَعْيـــثَ الطَّريـــقِ علـــى الحُـــزانِ مِضْـــرارِ

اللغـــة :

المهمة: الأرض المقفرة، نازح: بعيد، نائى المياه عن الوراد: أى أن مياهه بعيدة عن طالبيها لا يهتدون إليها بسرعة، مقفار: أى قفر خال من السكان. جاوزته: قطعته وتخطيت أرضه المقفرة، والعلنداة: الناقة الشديدة، مناقلة: واسعة الخطو، الحزان: جمع حزن وهو ما غلظ من الأرض وارتفع مضمارة أى أنها خفيفة نشيطة ضامرة ليست بمترهلة.

المعنـــى:

أنه يتنقل من وصف الأطلال والتغزل فى نعم التى مر بآثار ديارها إلى الحديث عن شجاعته وجسارة قلبه وقدرته على تخطى الأهوال والمخاطر بناقته التى سيسوق أوصافها، والتى كانت وسيلته فى تجاوز

الأهوال فى الصحراء، فيقول: "وإذا ما حدثت عن حبى وأشواقى ولواعج غرامي، فأننى أحدثك الآن عن طرف من أطراف شجاعتى وجسارة قلبى قرب صحراء بعيدة مخوفة لابد من اجتيازها فى أسفارى البعيدة التى لا تكاد تتوقف، تمتاز بوحشتها وأنها مأوى للذئاب الضارية التى لا تكف عن العواء بسبب إقفار أرضها، وأن الجوع يكاد يهلكها، كما تمتاز بمياهها البعيدة التى لا يتيسر لمن يسافر فيها الحصول عليها فى مفازة مهلكة، هذه الصحراء لم أتهيب التوغل فيها بناقتى الصلبة القوية النشيطة الضامرة الجسم المدربة على الرحلات الطويلة، والتى تضرب بخطافها القوية المتسعة على الحجارة الصلبة فى الطرق الوعرة.

17. نَجْتَازُ أرضاً إلى أرضٍ بذى زجلٍ	ماضٍ على الهولِ هادٍ غيرِ مِحيارِ

اللغـــة :

نجتاز: نقطع، الزجل: المراد به الحادى الذى يحدو للإبل فى القافلة، هاد: خبير بطرق الصحراء، غير محيار: غير متحير لأنه يحفظ الطرق فلا يضل فيها إذا اتخذناه دليلاً.

المعنـــى :

وعندما نخرج فى رحلة مع قافلة مسافرة، فإننا نتخذ دليلاً ماهراً ذا خبرة بالصحراء وطرقها المجهولة المخوفة، وأنه ليحدو للجمال واثقاً من نفسه غير متحير ولا مضطرب فى الاسترشاد به.

والذى جعلنى أصف الزجل فى قوله "بذى رجل" بأنه جاد ما جاء فى بعض الروايات "نجتاب أرضاً إلى أرض بذى وجل" والوجل: شدة

الصوت، وأرى أنه يقصد به الحداء[1].

18. كأنّما الرّحلُ منها فوقَ ذى جُدَدٍ	ذبَّ الريـادِ إلـى الأشـباحِ نظـارِ
19. مُطَرَّدٌ أفرِدتْ عنْـهُ حَلائِلُـهُ	من وحشِ خُبَّةَ أو من وحش تِغارِ

اللغـــة :

الجدد: بضم الجيم وفتح الدال: الخطوط البيض والصفر والرماد بذى الجدد الثور الوحشى المفزع الذى يتخيل أشباحاً يراها فينطلق مسرعاً.

مطرد: طارده الصيادون أو السباع فأنطلق سريعاً جداً فى عدوه حلائله: أنثاه من البقر، وأفردت عنه: خلى بينه وبينها بسبب مطاردته خبة وتعشار: موضعان.

المعنـــى :

أن الذى يرى ناقتى فى عدوها خلال الرحلة بها يتخيل أنه يرى ثوراً وحشياً مخططاً طاردته الوحوش أو الصائدون فانطلق يعدو سريعاً وهو من ثيران خبة أو تعشار المعروفة بشدة إجفالها وسرعة عدوها وخفتها.

20. مُجَرَّسٌ وجَدٌ جَونٌ أُطاعَ له	نبـاتُ غيـثٍ مـن الوسْـمى مُبكـارِ

اللغـــة :

مُجرس بضم الميم وفتح الراء المشددة: أى أنه يصبح مرة بعد مرة، والجرس: الصوت، وجون: ضخم قوي. أطاع له: نبات... الخ، اتسع له المرتع وطاب فهو يرعى فيه كيفما يشاء، مما يزيد فى سمنه وعافيته.

---

[1] راجع هامش جمهرة أشعار العرب، ص190 تحقيق البجاوى.

نبات الغيث: الكلأ الناتج عن المطر الوسمى المبكار أول المطر الذى ينزل فى آخر الليل وأول الصباح فيكون غزيراً.

المعنـــى:

هذا الثور المطرد السريع فى عدوه الذى تشبهه ناقتى فى خفتها ونشاطها أتيح له المرعى الهنيء المخصب فى أرض كثيرة الكلأ تسح عليها أمطار غزيرة، وهو يرعى كيفما يشاء فى هذه الأرض، لا يشاركه أحد ومن ثم فهو صحيح الجسم قويه وإن - ناقتى لكذلك - أيضاً ..

21. باتَتْ له ليلَةٌ شَهباءُ تَسفعُهُ	**منهـا بحاصـبٍ شـفانٍ وأمطـارِ**

اللغـــة :

ليلة شهباء: ذات برد وريح وأمطار، تسفعه: تضربه وتحصبه، والحاصب: الريح إذا كان بها حصباء صغيرة، والشفان: الريح الباردة.

المعنـــى :

هذا الثور القوى النشيط الذى يسابق الريح فى عدوه مفزعا ينطلق مسرعاً من مكانه إلى مكان آخر فى ليلة ممطرة باردة شديدة الريح تحصبه بأمطارها وحبات ثلجها التى تشبه حبات الرمال.

22. حتى إذا ما انجلَتْ ظلماءُ لَيلَتِهِ	**وأسـفرَ الصـبحُ عنـهُ أى إسـفارِ**
23. أهوى له قانصٌ يسعى بأكلبهِ	**عـارى الأشـاجع مـن قُنّـاصِ أنمـارِ**
24. مُحالفُ الصيْدِ تَبّاعٌ له لحـمٌ	**مـا إن عليـهِ ثيـابٌ غيـرُ أطمـارِ**

اللغـــة :

أسفر الصبح: بان وأنكشف، أمرى له: اتجه نحوه، قانص: صياد، أكلبه: كلابه التى يستخدمها فى الصيد، الأشاجع: عروق الكف

وكون الأشاجع عارية أنها ظاهرة لأن الرجل خفيف الجسم نشيط ليس بمترهل، أنمار: قبيلة معروفة بحرفة الصيد، محالف الصيد: محترف له مدرب على مزاولته، تباع له: يرتاد أماكنه ويتتبعه، لحم: بفتح اللام وكسر الحاء: أنه نهم فى أكل اللحم يكثر من أكله، الأطمار: جمع طمر وهو الثوب الخفيف البالى.

المعنـــــى:

ما أن أصبح الصباح على هذا الثور المطرد المفزع حتى فاجأه صياد ماهر محترف من بنى أنمار يسعى إليه بكلابه المدربة، وقد بدأ عارى الأشاجع خفيف الحركة شبه عار لأن ما عليه من الثياب لا يكاد يستره، كما أنه مغرم بأكل اللحم لا يصبر عليه.

25. فشكّ بالرمح منها صدرَ أولها	شَـكَّ المُشـاعِبِ أعشـاراً بأعشـارِ
26. ثمّ انثنى بعدُ للثانى فأقصدهُ	بـذاتِ فَـرْعٍ بعيـدِ القعـرِ نعَّـارِ
27. وأثبتَ الثّالثَ الباقى بنافِذَةٍ	مـن باسِـلٍ عـالمٍ بـالطّعنِ كـرّارِ
28. وظلّ فى سبعةٍ منها لحِقنَ بـه	يكُـرّ بـالرّوقِ فيهـا كـرّ إسـوارِ

اللغـــــة :

الروق: القرن المشاعب، النجار: يصل شعب الخشب المفرقة بعضها، الأعشار: المراد بها قدح الشراب الخشبى الذى صار عشر قطع فوصل بعضها ببعض، والضمير: فى أولها يرجع على الكلب الأول من كلاب الصائد، أقصده: قتله، ذات ثغر: طعنة متسعة، نعار: أى أن ثغر الفتحة الناتجة عن الطعنة يخرج منه الدم الشديد المتدفق محدثاً صوت كالشجر والثانى ثانى الكلاب، وكذلك الثالث ثالثها، وهكذا

وأثبته أبقاه فى مكانه قليلاً، ولذلك سمى الحنظل، " بَسْلا " بفتح الباء وسكون السين، عالم بالطعن: مدرب عليه لكثرة دفاعه عن نفسه، بكر بالروق: يهجم الكلاب الباقية بقرنه القوى المدبب، والإسوار: أحد الأساورة وهم قواد الفرس.

المعنـــى:

إن الثور الوحشى الذى قصده الصائد بكلابه، والذى شبهت به ناقتى قوى شجاع له قرن مدبب تعود أن يدافع به عن نفسه، ويطعن مهاجميه فى المقاتل وعندما أطلق الصائد عليه كلابه العشرة تحيط به وتقيد حركته تصدى لها ببسالة فائقة، حيث اتجه إلى الكلب الأول، فشكه شكة مزقت صدره كشكة النجار بآلته المدببة قطع الخشب ليؤلف بعضها إلى بعض فى قدح مجزأ فسقط الكلب مضرجاً فى دمائه، وبسرعة فائقة اتجه الثور الشجاع إلى الكلب الثانى موجها إليه طعنة قاتلة اتسعت فتحتها، وتدفقت منها الدماء محدثة صوتاً، وكذلك فعل بالكلب الثالث حيث أثبته فى مكانه قتيلاً بطعنة نافذة بقرنه كما يتعامل الأسوار المدجج بالسلاح الذى يعرف مقاتل مهاجميه.

29. حتى إذا ما قَضَى منها لُبَانَتَهُ	وعـــاثَ فيهـــا بإقبـــالٍ وإدبـــارِ
30. انقضّ كالكوكبِ الدرى منصلتاً	يهـــوى ويخلـــطُ تقريبـــاً بإحضـــارِ
31. فذلكَ شبْهُ قَلُوصـى إذْ أُضَرّ بها	طـــولُ الســـرى والسُّـــرى بَعْـــد إبكـــار

اللغـــة :

اللبانة: الحاجة، انقض: هوى، منصلتاً: مسترسلاً، والاسترسال

العدو فى سرعة، يهوي: يخرج من المعركة، التقريب والإحصار: نوعان من العدو القلوص للناقة الشابة التى لم يتعرض بمتاعب الحمل بعد. السرى: السير بالليل، والأبكار: السفر وسط النهار وأوله.

المعنـــى :

أن الثور الشجاع المدرب على مهاجمة الخصوم وتوجيه الطعنات النافذة إلى مقاتلها بعد أن قتل الكلاب العشرة واحداً واحدا أقبل وأدبر عليها بكر بالانتقام منها ثم انصرف يجرى بسرعة البرق خشية أن يلحق به الصائد ولكنه على كل حال مخلوق من دم ولحم فنجاحه وانتصاره فى معركته مع الكلاب ونجاته من شرها وقضاؤه عليهم جميعاً قد ألحق به التعب والإعياء نفس الشيء الذى تعانيه ناقتى النشيطة القوية من كثرة ما تواجهه من متاعب السفر أول النهار ووسطه وخلال الليل.

تأملات فى القصيدة :

عاش الجاهليون فى جزيرتهم المترامية الأطراف حياة قلقة مضطربة ينعدم فيها الاستقرار بسبب غلبة طابع الحياة فى الصحراء على هذه الجزيرة التى كانت أرضاً مجدبة تنعدم فيها مقومات الحياة الزراعية التى يستقر أصحابها بها، فيبنون المساكن ويفجرون الأرض عيوناً ويفلحونها فتجود بالزروع والثمار، فلا يبرحونها إلى سواها ولا يفكرون فى النقلة عنها، فإذا فعل ذلك بعضهم فإنما هو حادث طارئ، وسبب ملح لا يلبث أن يزول فيعودوا أدراجهم إلى جناتهم الوارفة وظلالهم الظليلة فى موطنهم الأصلي.

كما كان العهد ولا يزال بالنسبة لأهل مصر والشام والعراق مثلاً من تلك البلاد الخصبة التى هى فى واقع الأمر جنات تجرى خلالها الأنهار.

نعم لم تكن الجزيرة العربية كذلك؛ بل كانت أرضاً مجدبة قاحلة تقل فيها الأمطار وتنعدم الزراعة ويندر فيها وجود المدن والقرى التى تبنى فيها المساكن وتقوم فيها الحياة مستقرة هادئة عمادها التجارة كمكة، أو الزراعة كبلاد اليمن فى الجنوب والطائف فى الوسط وبعض الأماكن المتاخمة لبلاد العراق والشام.

ومن ثم فإن حياة الكثرة الكاثرة من سكان الجزيرة العربية التى ضنت عليها السماء بالماء فحرمت أرضها من الزراعة كان عماد حياتهم لبن الماشية ولحومها، ولا سيما الإبل يرعونها متتبعين بها مساقط الغيث ومنابت الكلأ من واد إلى واد. فلا يهدأ لهم بال ولا يقر لهم قرار، وإنما هم فى نصب دائم وقلق مستمر لا يحطون الرحال فى مكان إلا بمقدار ما تتاح لهم فرصة الرعى والري، ثم يشدونها إلى مكان آخر يتوفر فيه ما حرمتهم الطبيعة القاسية إياه فى المكان الأول غير عابئين ولا متأثرين ببكاء إبلهم وشكواها ما تعانيه من ذلك البلاء.

إذا ما قمت أرحلها بليل تأوه آهة الصب الحزين

تقول إذا درأت لها وضينى أذلك دينــه أبدا ودينــي

أكل الدهر حل وارتحـال أما يبقى علىَّ ولا يقيني[1]

فهو كما ترى يصور مشاعر ناقته التى دأبت على الرحلة وألفت السفر حيث تئن وتتوجع إذا أحست بقربه من مناخها ليلاً يريد أن يهيئها للسفر متقدماً إليها بالوضين يضعه على ظهرها متسائلة فى ألم: أليس من عادة يعتادها سوى السفر يعذبنى به ويكسر ظهري، وهل يعقل أن تكون أيام الحياة كلها حلا وارتحالاً... ثم ألا يفكر صاحبى هذا فىَّ ويدعنى هادئة لينقذنى ويستبقى حياتى ؟

هكذا كانت حياة عرب البادية العربية الجاهلية حل وارتحال وقلق واضطراب فى فجاج صحرائهم الواسعة التى تكاد تساوى قارة بأكلمها، يحفزهم حب البقاء إلى تجشم المتاعب، وركوب الأخطار باذلين فى سبيل ذلك المهج والأرواح دفاعاً عن بقائهم إذا ما اقتضى الأمر فلم تكن الحياة لتصفو حول المراعى دائماً، وإنما كانت توجد منغصاتها من قبيلة منافسة، أو لصوص مهاجمين، وعندئذ تشتعل الحروب وتسيل الدماء، ويكتب البقاء للأقوى...

والإنسان الذى فطره الله ـ تعالى ـ على أن يكون مدنياً بطبعه، منجذباً إلى أبناء جنسه يألفهم ويألفونه، ويرتبط معهم بعلاقات وثيقة، لاسيما بين الذكر والأنثى، قال تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن

---

(1) أرحلها: أضع عليها رحلي، الصب: العاشق، درأت الوضين: دفعته نحوها، والوضين البطانة التى توضع على ظهر الناقة تحت الرحل، الدين: المقصود به العادة المتبعة، يقيني: ينقذني، الذوائب: جمع ذؤابة وهى الشعر مضفور، والبهم: بفتح الباء وسكون الهاء جمع بهمة وهى صغائر الضأن.

ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا"[1]، هذا الإنسان من طبيعته حب الاستقرار والتآلف فى أعماقه والرغبة القوية فى التواصل والارتباط بالآخرين، فإذا فرضت عليه ظروف حياته التشتت وقضت عليه بالغربة، والتمزق النفسى من جراء ذلك فإنه يظل طوال عمره أسيراً لتلك اللحظات الطيبة الجميلة التى سعد فيها بقرب من أحبها فؤاده، وتعلقت بها نفسه، وربط بينه وبينها المرعى بأقوى الروابط، وأعمق الصلات، ولا سيما إذا كان ذلك فى أيام الصبا وغضارة الشباب كما يقول مجنون ليلى محاكياً الأقدمين:

تعلقت ليلى وهى ذات ذوائب

ولم يبد للأقوام من ثديها حجم

صغيرين نرعى البهم يا ليت أننا

إلى اليوم لم نكبر ولم تكبر البهم

وإذا كان العاشق المحب شاعراً فإن عاطفته تضطرم وجوانحه تستعر حباً وحنيناً ويظل للعهد ذاكراً وبالمحبوب متعلقاً، وبكل صغيرة وكبيرة من ذكرياتها محتفظاً، فما أن تتاح له فرصة يرو فيها شيئاً من هذه الذكريات إلا ويخفق قلبه وتهيج مشاعره وتتمثل له صورة تلك المحبوبة من جديد كأن لم يضرب الزمن بينهما ضربته، ولم يباعد بينه وبينها فى الزمان والمكان.

فيقف بآثارها باكياً حزيناً، يذرف الدمع ويسترجع الذكريات بصورة يشفق عليها معه رفقة سفره ويخيل إليهم أنه هالك لا محالة إذا ظل

---

[1] سورة الحجرات، آية (13).

على تلك الحال فيعزونه وينصحونه بالتحمل والصبر وأن ينصرف عن هذا البكاء الذى لا يفيد.

يقول امرؤ القيس :

وقوفا بها صحبى على مطيهم

يقولون لا تهلك أسى وتجمل

فدع عنك شيئاً قد مضى لسبيله

ولكن على ما غالك اليوم أقبل

ولكن كيف السبيل إلى ذلك ورؤية أطلالها وآثار ديارها أعادت إلى وجدانه صورة يوم رحيلها الذى كان من أقسى أيام حياته، حيث ظل دمعه ينهمر غزيراً، كمن ينقف ثمار الحنظل، وأن هذه الدموع لتسيل بغزارة حتى تبلل محمله.

كأنى غداة الروع يوم تحملوا

لدى سمرات الحى ناقف حنظل

فسالت دموع العين منى صبابة

على الرحل حتى بل دمعى محملي

وبعد أن يقضى الشاعر ليلته من البكاء والتأثر، ويوفى أطلال حبيبته حقها عليه من الإهتمام بها والوقوف عليها تعود إليه رباطة جأشه وهدوء نفسه شيئاً فشيئاً فينصرف عن البكاء وذروف الدموع إلى تذكر أوصاف حبيبته الجسدية وما كانت تتمتع به من جمال حسى متمثل فى بياضها وصفاء بشرتها وضخامة جسمها وامتلائه إلى جانب عذوبة ريقها واهتمامها بطيبها وزينتها الخارجية.

هذا.. فوق ما منحه الله لها من زينة معنوية تتمثل فى عفة اللفظ وسماحة الأخلاق، وهذه كلها مقاييس الجمال الأنثوى فى نظر الشاعر الجاهلي.

ولست أرانى بحاجة إلى أن أعيد عليك ما ورد فى ذلك من أبيات النص مرة أخرى فارجع إليها، وقصائد الشعر الجاهلى حافلة بتلك الأوصاف التى تجعلك مطمئناً إلى أن النابغة فى حديثه عن أطلال نُعْم وحديثه عن أوصافها الحسية والمعنوية إنما كان يردد ما ذكره امرؤ القيس قبله وما سار عليه الشعراء واعتبروه تقليداً فيما بعد.

والشاعر المداح المتكسب بشعره يتخذ من الناقة حمولة ومركباً وصاحب سفر، لأنها وسيلته التى يستعين بها على اجتياز المفاوز وقطع الفيافى بغية الوصول إلى الممدوح، فهى لا تقل منزلة عنده من "نُعْم"، فإذا خلع على نُعْم أجمل ما تتحلى به إحدى بنات حواء من صفات، فإن الناقة كذلك يجب أن تتصف بما تتصف به النوق المثالية من قوة وخفة وسرعة ونشاط ومهارة فى تخطى الأماكن المجهولة فى الصحراء، مثلها فى ذلك مثل الثور الوحشى الذى يفلت من أمهر الصائدين ويقضى على كلابه واحداً فواحداً.

ويمكن القول بأنه لم يكن أعز على العربى بعد الزوجة أو العشيقة من الناقة أو الحصان.

والشاعر المحترق الجوانح المهتاج المشاعر الخاضع لمقتضيات

الحياة الصحراوية القاسية من القلق والاضطراب والحرمان من ممارسة الحب الآمن المطئمن ـ كما عرفنا ـ يجد فى الوقوف على أطلال محبوبته متنفساً ومخرجاً، أو قُل يجد فيه هروباً بمشاعره مما هو فيه من حرمان، ومن ثم وجدناه يهتم بهذا الغرض الشعرى ويجعله جوهرياً فى قصائده فلا تكاد تتفتح قصيدة إلا له مهما كان غرضها، إلا فى القليل النادر ـ وقراءتنا لقصائد شعرنا الجاهلى تعطينا الدليل القوى على هذا.

وإذا كان الشعر ديوان العرب ـ كما يقول الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ وكان الشعر الجاهلى بأنماطه وتقاليده ولوازمه وتعبيراته هو النموذج الذى يجب أن يحتذى ويسير الشعراء على منهجه ويبذلون قصارى هم فى اقتفاء أثاره وتقليد أصحابه، بحيث يعد من يخرج على هذا النهج مقصر فى نظر نقاد الشعر والمقصدين لتقويمه والحكم عليه فقد ظلت القصيدة العربية التقليدية منذ العصر الجاهلى وإلى ظهور المدارس التجديدية الحديثة التى بدأها عباس محمود العقاد وإبراهيم عبد القادر المازني، وعبد الرحمن شكري، فيما عرفه بمدرسة الديوان.

منذ ذلك العهد السحيق والقصائد الشعرية فى جميع أغراضها تبدأ بالغزل والوقوف على الأطلال أو تكلفا وتخيلاً، لا لشيء إلا المحافظة على النهج الشعرى القديم وإرضاء أذواق النقاد المتمسكين

بضرورة السير على هذا النهج، بصورة جعلت المتنبى يضيق ذرعاً بذلك ويدعو إلى حرية الشاعر فى ابتداء قصيدته فلا يقف على طلل إلا إذا كان عاشقاً حقاً، واسمع إليه يقول :

إذا كان شعر فالنسيب المقدم

أكل الذى قد قال شعراً متيم.

obeikandl.com